

Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com



Qura'anic character dialogues : prophets with their families as an example

Ahmad Taha Ahmad
Lect./ Arabic Language Dept./ College of Arts/
University of Mosul

Article Information

Article history:
Received April 30, 2023
Reviewer May 25 .2023
Accepted May 27, 2023
Available Online March 01 , 2024

Keywords:
Invitation
Unity of God
Worship

Correspondence:
Ahmad Taha Ahmad
t1934a1939ahmad1969@gmail.com

Abstract

The current research deals with the prophets’ dialogue in the Holy Qur’an. It highlights the dialogue with their families, showing the value of these Qur’anic dialogues in calling to Allah Almighty, as well as revealing the psychological worlds of the Qur’anic personalities represented by the prophets, who are the elite of creation, through their dialogue with their families who are the closest people and the first to guide and unite Allah Almighty.

The research includes a preface and three sections. The preface deals with the concept of dialogue in linguistics and in literary and Quranic terminologies, as well as the concept of family in linguistics and in the Qur’anic terminology. As for the first section, it tackles the dialogue between the prophets and their sons and parents. The second section highlights the prophets’ dialogue with their brothers. Finally, the third section presents the purposes behind the prophets’ dialogue with their families, which is the ultimate goal of the occurrence of those dialogues in the Qur’anic text.

DOI: 10.33899/radab.2023.140027.1930, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.

حوارُ الشخصيّاتِ القُرآنيّةِ الأنبياء مع أهليهِم أُنموذجًا

أحمد طه احمد*

المستخلص:

تناولَ البحثُ حوار الشخصيات القرآنية مُسلطًا الضوء على حوارات الأنبياء مع أهليهم، مبيّنًا قيمة هذه الحوارات القرآنية وأهميتها في الدعوة إلى الله تعالى، فضلاً عن كشفها للعوالم النفسية للشخصيات القرآنية متمثلة بالأنبياء وهم صفوة الخلق وحوارهم مع أهلهم وهم أقرب الناس وأولاهم بالهداية وتوحيد الله عزّ وجلّ، وقد شَمِلَ البحث، تمهيدًا وثلاثة مباحث، أمّا التمهيد فقد تناول مفهوم الحوار في اللغة وفي الاصطلاحين الأدبي والقرآني، فضلًا عن مفهوم الأهل، لغة وفي الاصطلاح القرآني، ثمَّ جاء المبحث الأول ليقف عند حوار الأنبياء مع أبنائهم وآبائهم، أمّا الثاني فكان في حوارهم مع إخوتهم ،في حين عرض المبحث الثالث مقاصد حوار الأنبياء مع أهليهم والتي تعد الغاية الأسمى لورود الحوار في النص القرآني، ومن الجدير بالذكر أنّ حوارهم في القرآن الكريم لم يأتِ حوارًا مثيرًا للجدل والشحناء بل هو

* مدرس / قسم اللغة العربية / كلية الاداب / جامعة الموصل

حوارٌ ربانيٌ بنّاءٌ يهدي للتي هي أقوم ،وهو في الوقت ذاته حوارٌ تربويٌّ يُعَلِّم الناسَ أدبَ الحوارِ مع الآباء والإخوة والأبناء، والحوار في القرآن من العظمةِ والإتقان ما لا نستطيع أن نقيّمُه على وفق الضوابط والمقاييس التي وضعها البشر.

الكلمات المفتاحيَّة: دعوة، توحيد، عبادة .

التمهيد:

أ. **الحوار**

1. في اللغة، يكاد يجمع أصحاب معجمات الألفاظ على أنّ الحوار يعني: الرجوع إلى الشيء وعنه، وأنّ المحاورة تعني المجاوبة ومراجعة الكلام[1]، وليس الحوار (جدلاً)؛ لأنّ (الجَدَلَ) شِدّةُ الخصومة[2].
2. في الاصطلاح الأدبي، حديث بين شخصين أو أكثر تضمه وحدة في الموضوع والأسلوب[3]، ويعدُّ الحوار أحد العناصر المهمة في بناء وتطوير الحدث في الأعمال السردية عموماً لاسيّما في المسرح؛ ذلك كونه ((يُنمّي الحدث ويبلوره لأنّه يبني الوقائع الصغيرة ويدخلها في سياق الحدث، لتكون جزءًا منه، كما أنّ الحوار يكشف عن الزمان والمكان بوصفهما إطاراً للحدث والشخصية)) [4].

وقد حفلت الدراسات التنظيرية والتطبيقية بنوعي الحوار: الداخلي والخارجي وأكثرت في تفصيلهما وتبيّين ما ينضوي تحتهما من تقسيمات فرعية، فبيّنت الخارجي المباشر بأشكاله الثلاثة (المجرد، والمركب، والرمزي)، فضلا عن الحوار الداخلي بأنواعه (المونولوج ، ومناجاة النفس، واخيرا تيار الوعي).

ويرى البحثُ أنّه لا جدوى في تكرار وإعادة ما موجود ومبثوث في عشرات بل مئات الكتب المطبوعة عن الحوار وأنواعه.

3. في الاصطلاح القرآني: "أسلوب قرآني يحكي محاورة كلامية بين طرفين أو يخبر عنها، هادف إلى بيان معانٍ إسلامية مقصودة ومحددة"[5].

والحوار في القرآن الكريم على نوعين: حوار يميل إلى الجدل غير القصصي وهو ذو مقصد ديني يخبر عن لجاج الأمم السابقة، مثل قوم نوح وعاد وثمود وشُعيب، وأمّا النوع الثاني، فهو حوار قصصي يجعل المشاهِد حاضرة مشخّصة تملؤ الفراغات السردية الواقعة في أثناء الحوار[6]، وهذا الحوار القصصي هو الذي يُعنى به البحثُ وأمثلته كثيرة سنتعرف عليها لاحقاً في أثناء البحث.

ومن الجدير بالذكر أنّه جاءت في القرآن الكريم ثلاثة ألفاظ مشتقة من (حَ وَ رَ)، اثنان منها في سورة الكهف من الآية 34، ومن الآية 37 على التوالي، أمّا اللفظة الثالثة فجاءت في سورة المجادلة من الآية 1.

إنّ المتتبع للحوار القرآني بشقيه: المكي والمدني، يجد أنّ هناك تفاوتًا في حضورهما السردي القرآني، إذ إنّ آيات الحوار القرآني المكي كثيرة جداً إذا ما قيست بالآيات المدنية الحوارية [*].

وتعلّل (فوز سهيل نزّال) هذا التفاوت بأمرين: الأول ضخامة حجم القرآن المكي، مقارنة بحجم القرآن المدني، وأمّا الثاني: فهو ارتباط الحوار بالقصص القرآني وهو على مساحة أوسع مما هو في القرآن المدني، ويرجع هذا لأسباب تجعل القصص أداة فاعلة في توجيه الرسول (ﷺ) وأصحابه رضوان الله عليهم. [1]

---

1) ينظر: العين، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(100-175هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، (د.ط)، 1406هـ = 1981م: 287/3. وينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مُكرّم بن منظور (ت 711هـ)، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر/ بيروت، ط3، 1415هـ = 1994: 218/4. وينظر: مختار الصحاح، أبو بكر محمد بن عبدالقادر الرازي (ت666هـ)، دار الرسالة، الكويت، (د.ط)، 1402هـ=1982م، مادة (ح و ر): 161.
2) ينظر: مختار الصحاح: 96.
3) ينظر: المصطلح في الأدب الغربي، د. ناصر الحاني/ منشورات دار المكتبة العصرية، صيد – بيروت، (د.ط)، 1986: 53. ينظر: المعجم الادبي، د. جّبور عبدالنور، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979:100.
4) البناء الفني لواية الحرب في العراق: دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة، عبدالله ابراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1988:186.
5) ينظر: تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، / تونس، 1984 : 64/1، 120.
6) الحوار في القرآن، محمد حسين فضل الله، 15. نقلا عن دراسة نصيّة (أدبية) في القصة القرآنية، د. سليمان الطراونة، ط1، 169/1992.
(*) جاء الحوار المكي في (1396) آية، في حين جاء الحوار المدني في (197) آية.

ونلخص إلى القول،إنّ الحوار القرآني بمفهومه البسيط: كل حوار جاء في كتاب الله القرآن العظيم سواء كان بين الله تعالى وبين رسله الكرام، أو بين عبادِهِ من الأنبياء والمرسلين وكل الأشخاص الذين ورد ذكرهم في القرآن سواء أكانوا بشراً أم غير بشر، ومهما يكن يبقى الحوار في القرآن بِرُقِيِهِ وفنيّته العالية فوق مستوى الحوار الإنساني.

من الجدير بالذكر أنّ الحوار الجيد مهما كان نوعه، وأطرافه، لابُدّ أنّ تتوافر فيه صفات ووظائف فنّية تجعله ناجحاً سلساً يُعبّر عن مكنون الشخصية بحق ويُفسّر الحدث ويدعمه، وفيما يأتي عرضٌ موجزٌ لصفات الحوار الناجح والمتميّز ووظائفه، ويرى البحثُ أنّ صفات الحوار الناجحة هي مايأتي:

1. أنّ يكون مواكباً للحدث ودافعاً لحركته إلى الأمام، ويصب في صلب القصة.
2. أنّ يكون مناسباً لمستوى الشخصية الثقافي ومعبرًا عنها.
3. أنّ يكون مكثفا يحمل في ألفاظه وتراكيبه وجمله طاقة تعبيرية إيحائية بأقل ما يمكن من الكلمات.
4. أنّ يعتمد على اختيار واعٍ للألفاظ والعبارات والأفكار والصور الحيّة الخلّابة المناسبة للشخصية والموقف.
5. لا ينبغي أنّ تكون لغة الحوار(عامية) مبتذلة بحجة ما يراه البعض من النزوع الى الواقعية؛ لأنّ العامية في الحوار تضعف أدبية النص السردي وتنأى به عن مصاف النصوص الأدبية الفنية الراقية.

وأمَّا وظائف الحوار في أي نصٍ سردي، فهي كما لخّصها قديماً (تشارليز مورجان) وهي ثلاث:

1. تطوير الحدث
2. تصوير الشخصية
3. صنع الجو أو الحالة[2].

ب. مفهوم (الأهل) في اللغة والاصطلاح القرآني:
قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (100-175هـ) رحمة الله عليه:

"أهلُ الرجلِ زوْجُهُ، والتأهُّل التزَوّج، وأهْل البيت سُكانُه وأهل الاسلام مَنْ يَدينُ به وجمع الأهل أهْلُون"[3].

وأمَّا الاصطلاح القرآني فقوله تعالى: ٱ ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل ً (الاحزاب من الآية 33) وكلمة (أهل): اسم جنس مذكر جامد، أمّا أهلون، فهي ملحق بجمع المذكر السالم، ويُقال "(أَهَّلَ) الرجلُ تزوّجَ وبابه دَخَلَ وجَلسَ و(تأهَّل) مثلُهُ"[4]

المبحث الاول حوار الأنّبياء مع أبنائهم وآبائهم

أولاً: حوار سيّدنا نوح (عليه السلام) مع ابنه:

قال الله تعالى في سورة هود: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ وهو حوار خارجي بين شخصين.

بالرغم من أنّ للحوار مفهومه وصفاته ووظائفه وما إلى ذلك من ضوابط وطروحات تعجُّ بها الكتب النقدية والتي على ضوئها يقيّمُ الحوار الناجح من غيره، وهي مقاييس من صنع البشر لأعمال البشر، الاّ أنّنا نربأ بالحوار القرآني عن تلك المقاييس فهو الأرفع والأجلُّ منزلةً والأسمى صياغة وتعبيرًا، ولا نستطيع نحن البشر بأيّة صورة من الصور أنّ نقيّمَ الحوار القرآني ولكن كل الذي نستطيعه أنّ

1) ينظر: لغة الحوار في القرآن الكريم، دراسة وظيفية اسلوبية، اطروحة دكتوراه، بإشراف: أ.د. محمود داوود السمرة، مقدمة الى كلية الدراسات العليا/ الجامعة الاردنية، 2001:8.
2) ينظر: الكاتب وعالمه، ترجمة: د. شكري محمد عيّاد، سلسلة الألف كتاب (500)، القاهرة، (د.ط)، 1964:268.
3) مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة 395 هـ اعتنى به الدكتور محمد عوض مرعب، الآنسة فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1422ه 2001م:78.
4) مختار الصحاح: 31.

نُفسّر قولة تعالى, فقوله { فِي مَعْزِلٍ } أي في ناحية، ويمكن أنّ يُراد في معزل عن دين أبيه، ويمكن أنّ يراد في معزل عن سفينة النجاة[1]، وابن سيّدنا نوح هذا هو الابن الرابع بين أبنائه من زوجته الثانية والتي كأنّ اسمها (واعله) التي ماتت غرقاً وهي المذكورة في آخر سورة التحريم، وأمّا اسم ابنه فكان (ياما) وقيل أنّ اسمه كنعان[2].

يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا) بيان لجملة (وَنَادَىٰ نُوحٌ) وفيها إرشاد له ورفق به، وأمّا جملة وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ) فهي معطوفة على جملة (ٱرۡكَب مَّعَنَا) لأعلامه بأنّ أعراضه عن الركوب سيجعله في صف الكافرين، وجملة (ٱرۡكَب مَّعَنَا) كناية عن دعوته إلى الإيمان بطريقة العرض والتحذير[3]، وقول ابنه (سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ) أي سأصير الى جبل أتحصن به من الماء(يعصمني) أنّ يمنعني مثل عصام القربة الذي يُشد به رأسها فيمنع الماء أنّ يسيل منها[4] .وجاء بصيغة اسم الفاعل عاصم بمعنى معصوم أطلق اسم الفاعل وأراد اسم المفعول أي لا أحد معصوم من أمر الله ، وقد يراد على حقيقته عاصم أي حتى الجبل ليس عاصم لك من أمر الله.

ثانيًا: حوار أبي الأنّبياء سيّدنا إبراهيم عليه السلام(*)

أ. مع أبيه:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٧٤ ﴾ الأنعام: ٧٤

في الآية الكريمة السابقة يُطلعنا الحقُ تبارك وتعالى قول سيّدنا إبراهيم (عليه السلام) مع أبيه آزر وهو يحاوره ويتعجب من أمره في اتخاذ أبيه وقومه للأصنام آلهة من دون الله يعبدونها وقد صنعوها بأيديهم من حجارة صمّاء لا ترى ولا تسمع ولا تغني عنهم شيئاً، لقد جاء الحوار بصيغة استفهام يكنفه التعجب، إذ كيف تصبح الأصنام آلهة ((بل كان ممن ينحتها ويبيعها وهو أيضا من المسوّين خلقها والداعين إلى عبادتها وهو [أبوه] أقرب الناس إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ وألصقهم به، وأولاهم بالهداية))[5].

ومن الجدير بالذكر أنّ الحوار في الآية الكريمة السابقة يقع تحت نمط (الحوار الخارجي)، وكما هو معروف أنّ الحوار محادثة بين طرفين يشترك كلٌ منهما في صياغته، لكنّا هاهنا لا نجد جواباً من آزر يرد على ابنه إبراهيم (عليه السلام)، فهو في حقيقة الامر لا يملك جواباً مقنعاً يدفع فيه عن نفسه، فضلا عن ذلك يستشف من الحوار الحالة النفسيّة غير الراضية لإبراهيم تجاه أبيه، فهو لم يناده بما ينادي الابن أباه، حتى في قوله تعالى ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ نجد أنّ نبينا إبراهيم يتبرأ من قومه فيجعلهم قوماً لأبيه فحسب.

1) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للقاضي محمد بن عبدالحق بن غالب بن عطية الاندلسي، ط1، دار الكتب العلمية بيروت / لبنان، سنة 1422هـ = 2001م : 174/3.

2) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور: 75/12-76.

3) ينظر: المصدر نفسه, الصفحة نفسها.

1) ينظر: جامع البيان، الطبري: 417/12.

(*) وهو خليل الله وسمي بأبي الانبياء؛ لأنّ من ذريته أنبياء كثيرون، وقد أتاه الله تعالى صحفاً سميت في سورتي (النجم، الاعلى) بـ (صحف إبراهيم) ودعى إلى الحنفية التي تدعو إلى التوحيد، ولد بأرض بابل وهو من سلالة سام بن نوح، وكان قومه يعبدون الأصنام فحطّمها في غفلة منهم، فأمر ملكهم النمرود بن كنعان بحرقه، ولكن عناية الله حفظته من النار المستعرة، مما اضطره للفرار هو وزوجته سارة إلى الشام ثم إلى مصر التي غادرها مع زوجته وجاريتها (هاجر) إلى أرض فلسطين، ولمّا كبُر إبراهيم ولم يرزق الولد، وهبته زوجته سارة جارتها هاجر فأنجبت له (إسماعيل) عليه السلام، وقد رحل بهاجر وابنها إلى مكة حيث البيت الحرام وتفجّرت عين زمزم إكراما لهما، وقد بنا إبراهيم بمساعدة ولدة اسماعيل البيت الحرام، ولما شاخ إبراهيم وقد بلغت زوجته (سارة) سن اليأس أنعم الله عليهما وولدت اسحاق ومن ذريته بنو اسرائيل. ينظر: معجم الالفاظ والاعلام القرآنية، تشمل جميع ألفاظ القرآن الكريم مرتبة هجائيا ومشروحة, وبيان عدد مرات ورود كل لفظ, ومواضع نصوصه في السور والآيات مع التعريف بالأعلام التاريخية والجغرافية, تأليف: محمد اسماعيل إبراهيم, ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي, طــ 2 1412هــ = 1998م: 25/1-26.

5) قصص القرآن، محمد جاد المولى علي محمد البجاوي، ط1، دار احياء التراث العربي- بيروت/ لبنان، سنة 1422هـ = 2002م :39.

وفي سورة مريم، نقرأ قوله تعالى﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ نجد حوار سيّدنا إبراهيم مع أبيه وهو يعظه وينكر عليه عبادته الاصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنه شيئاً، نجد أنّ نداء سيّدنا إبراهيم وهو يحاور أبيه (يا أبت) فيه شيء من الاستعطاف والتحبب لأبيه، ويسترسل سيّدنا إبراهيم في حواره مع أبيه بصيغة النداء (يا أبتِ) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ مبيناً لأبيه أنّه قد جاءه من ربه ما لم يأته ويدعوه لاتباعه الى الطريق المستقيم المنجي من الضلال.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ ﴾ (مريم: ٤٤) فهو ينكر على أبيه عبادة الشيطان من دون الله؛ لأنّ الشيطان عصياً لربه، ثم يناديه ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ (مريم: ٤٥) ذكر الخوف والمس ولم يقل مثلاً يصيبك فهو لا يريد أن يصدمه بهذه الحقيقة، والمس هو التصاق خفيف ،وهذا منتهى الشفقة عليه والحرص على نجاته، وذكر العذاب ونكره ولم يصفه وقصد به الاستعطاف وليس التهويل، وقال من الرحمن ولم يقل من الجبار ، لأن المغفرة تطلب من الرحمن وليس من الجبار لعله تدركه الرحمة فيؤمن لأن إبراهيم كان حريصاً على إيمان أبيه ، فقال(ساستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً) ،فالتعبير بالخوف الدال على الظن دون القطع تأدب مع الله تعالى بأنّ لا يثبت أمراً فيما هو من تصرف الله، وابقاء للرجاء في نفس أبيه لينظر في التخلص من العذاب بالإقلاع عن عبادة الأوثان[1]، فنبي الله يخاف ويخشى على أبيه من عذاب الرحمن، وقد جاءت الآية بلفظة (الرحمن) في موضع العذاب دلالة على رحمة الله بعباده في هدايتهم لما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ويحذره أنّ يكون وليّاً للشيطان قريباً منه في نار جهنم.

وبعد هذه النداءات الحوارية المتتالية من سيّدنا إبراهيم يأتي جواب أبيه في قوله تعالى:﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ (مريم: ٤٦) فقوله(اراغب انت) استفهام أنكاري لتجافي سيّدنا إبراهيم عن عبادة أصنامهم. وأمّا إضافة الآلهة إلى الضمير نفسه فهي إضافة ولاية وانتساب إلى المضاف لقصد تشريف المضاف إليه[2] وقوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام): (أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ) اي أترغب عنها إلى غيرها، (لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ) والرجم يكون بالحجارة، (ﭶ ﭷ) قال ابن عباس حبر الامة: ((اي اعتزلني سالم العرض لا يصيبنك مني معرة، وامّا قولة (ﭷ) ففسرت دهراً طويلاً[3].

ويأتي رد سيّدنا إبراهيم لأبيه في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ (مريم: ٤٧) ففي رده عليه السلام، يتجلّى أدب حوار الابن مع أبيه، فهو لم يُؤمر بقتاله، وقيل المراد بقوله : (سلم عليك) هي المتاركة وليس التحية، وبعدها (سأستغفر لك ربي) يقول: ولكني سأسال ربي أنّ يستر عليك ذنوبك بعفوه إيّاك عن عقوبتك، وفي حواره يظهر حرصه على هداية أبيه إلى التوحيد، إذ لم يكن إبراهيم قد تلقى نهياً من الله عن الاستغفار لأبيه المشرك، وهذا ظاهر في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١١٤) واستغفاره له هو المحكي في قوله تعالى ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الشعراء: ٨٦), وقوله تعالى: (إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ تعليل لما يتضمنه الوعد بالاستغفار في رجاء المغفرة استجابة لدعوة إبراهيم بأنّ يوفق الله أبا إبراهيم للتوحيد ونبذ الشرك[4].

1) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور:118/16.
2) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 118/16
3) الجامع لأحكام القرآن: والمبين لما تضمنه من السنة وأي الفرقان / لابي عبدالله محمد بن احمد ابي بكر القرطبي، تحقيق: الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي, وشاكر في تحقيق هذا الجزء: محمد أنيس مصطفى الحسن, ومحمد معتز كريم الدين, مؤسسة الرسالة والنشر / لبنان / بيروت، ط1، 1427هـ =2006م : 458/13
4) تفسير التحرير والتنوير: 121/16.

ويأتي استغفار سيّدنا إبراهيم لأبيه في آية اخرى وهو يحاوره﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (الممتحنة من الآية ٤) وقوله (وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ) يعني أنّه لا يدفع عنه العقوبة من الله إنْ عاقبه على كفره، ولا يغني عنه من الله شيء.

ب. مع ابنه إسماعيل (عليهما السلام)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ۚ (الصافات: ١٠٢)

في الآية السابقة (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ) يخبرنا الله تبارك وتعالى من أمر سيّدنا اسماعيل بأنّه " شب وارتحل واطاق ما يفعله ابوه من السعي والعمل"[1] وقول الله تعالى على لسان سيّدنا إبراهيم (إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ) وكما هو معلوم أنّ رؤيا الأنّبياء حق وهي وحي من الله، ويرى بعض المفسرين أنّه أُمِرَ في نومه بذبح ابنه، فعبر عن ذلك بقوله (ﰄ ﰅ) أي أرى ما يوجب ذبحك[2]، وعبر بصيغة المضارع (أرى) دون الماضي لأن الرؤيا تكررت عنده أكثر من مرة ، كما في استعمال المضارع تصوير للحالة ، وقد أخبر ابنه بهذه الرؤيا ليكون الامر أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله ثم طاعة أبيه فما كان جواب سيّدنا اسماعيل إلّا قوله: (يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ) أي: امضِ لما أمرك الله من ذبحي، ستجدني إن شاء الله من الصابرين، أي سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل.[3]

ولما خاطب إبراهيم الاب (يا بني) على سبيل التراحم، أجابه ابنه بقوله (يا ابتي) على سبيل التوقير والتعظيم، وفوض الامر إليه حيث استشاره وأنّ الواجب عليه إمضاء ما رآه.[4]

ثالثًا: حوار يعقوب مع بنيه

ابتدأ الحوار يوسف عليه السلام لعرض ما رأى في المنام على قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾(يوسف:٤)

سُئل ابو الحسن الأقطع (رحمه الله) وكان حكيمًا عن معنى كلمة يوسف فقال: الأسف في الحزن والأسيف: العبد، وقد اجتمعا في يوسف ولذلك سمي يوسف.[5] تكلم مفسرون كُثُرٌ على تعبير هذا المنام، وخلاصة القول إنّ الكواكب الأحد عشر هم إخوة يوسف وكانوا أحد عشر رجلاً أمَّا الشمس والقمر فهما (أبوه وأمه) وهذا ما رواه ابن عباس (رضي الله عنهما) والضَّحاك، وقتادة، وسفيان الثوري (رضي الله عنهم جميعًا) وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة وقيل ثمانين سنة، وذلك حين رفع أبويه على العرش وهو (سريره) الذي كان يجلس عليه، وأخوته بين يديه.[6]

وبعد أنّ سَمِعَ يعقوب لابنه يوسف وهو يقصُّ رؤياه رؤياه﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ۚ (يوسف: ٥) في الآية السابقة نجد حرف النداء (يا) في قول يعقوب (يا بني) والنداء مع حضور المخاطب

1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 481/4
2) ينظر: تفسير الثعالبي، المسمى: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للإمام عبدالرحمن بن محمد مخلوف أبي زيد الثعالبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، سنة 1418هـ=1997م:43/5.
3) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء اسماعيل بن إسحق بن كثير، ط1، دار الكتب المصرية: 38/12.
4) ينظر: تفسير المراغي، احمد مصطفى المراغي، مكتبة مصطفى البابي وأولاده، مصر، ط1، سنة 1365هـ =1946م : 74/23
5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 244/11.
6) ينظر : تفسير القرآن العظيم: 12/8.

مستعمل في طلب إحضار الذهن اهتماماً بالغرض المخاطب فيه، لقد عرف يعقوب (عليه السلام) دلالة الرؤيا والتي مفادها أنّ الله تعالى سيبلغ يوسف (عليه السلام) مبلغاً من الحكمة، ويصطفيه للنبوة، وينعم عليه بشرف الدارين، كما فعل بآبائه، فخاف عليه من حسد الإخوة وبغيهم، والرؤيا مختصه بما كان في المنام دون اليقظة، (فيكيدوا)، بمعنى أنّ قصصتها عليهم كادوك، وقوله: (إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ) أي ظاهر العداوة للإنسان، بدلالة قوله تعالى على لسان الشيطان:﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (الأعراف: ١٦) فالشيطان يحمل على الكيد والمكر وكل شر[1] .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ (يوسف: ٦)

يقول الله تبارك وتعالى عن قول يعقوب لولده يوسف أنّه كما اختارك ربك وأراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك (وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ) أي يختارك ويصطفيك لنبوته (وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ) والمقصود بذلك تأويل الرؤيا (وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ) اي بإرسالك والإيحاء إليك (إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ) أي هو اعلم حيث يجعل رسالته[2].

وقوله تعالى﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠ ﴾ (يوسف: ١٠٠)

وقوله تعالى(وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ)، قال ابن عبّاد ومجاهد وغيرهم: يعني السرير، اي أجلسهما معه على سريره (وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ)، أي سجد له أبواه وإخوته الباقون وكانوا أحد عشر رجلاً.

أمَّا حوار يعقوب النبي مع بنيه إخوة يوسف، فقد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ ﴾ (يوسف: ١١) بعد أنّ تآمر إخوة يوسف فيما بينهم وأجمعوا على الفرقة بينه وبين والدهم يعقوب النبي، قالوا له: يا أبانا ما لك لا تأمنَّا على يوسف فتتركه معنا إذ خرجنا الى الصحراء، (وإنّا له لحافظون) نحوطه بعنايتنا.[3]

وسؤالهم لأبيهم يعقوب في الآية السابقة يدل على أنّ يعقوب عليه السلام يخافهم على يوسف فلولا ذلك لما قالوا هذا القول، ثم اتبعوا قولهم قولهم﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (يوسف: ١٢)

وجملة (أرسله) مستأنفةٌ استئنافاً بيانياً لأنّ الإنّكار المتقدم يثير ترقب يعقوب - عليه السلام- لمعرفة ما يريدون منه ليوسف عليه السلام، وقولهم (يرتع) من الرعي.[4] ويلعب يتسلى معهم وينشط، فأجابهم يعقوب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ﴾ (يوسف: ١٣) معكم الى الصحراء والبرية مخافة أنّ يأكله الذئب (وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ) اي لا تشعرون.[1]

---

1) الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض سنة 1418هـ = 1998م : 255/3.
2) ينظر: تفسير القرآن العظيم : 15/8.
3) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد جرير الطبري، ط1، هجر للطبع، 1422هـ = 2001م : 24/13.
4) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 228/12.

﴿ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤ ﴾ (يوسف: ١٤) القَسَمُ محذوف تقديره: والله، (قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ) واللام موطئة للقسم وقوله: : (إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ)، جواب القسم والواو في (ونحن عصبة) واو الحال، حلفوا له: لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم- وحال أنّهم عشرة رجال بمثلهم تُعصب الأمور وتُكفى الخطوب- إنّهم إذاً لخاسرون، أي هالكون ضعفاً وعجزاً أو مستحقون أنّ يهلكوا لأنّ لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم، لأنّ يدعى عليهم بالخسارة والدمار، وقيل إنّ لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا وخسرناها.[2]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾ (يوسف: ١٧)

(قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ) اي نتسابق في العدْوِ أو في الرمي (وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ) بمصدق لنا (وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا؟.[3]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾ (يوسف: ١٨) (وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ) أي مكذوب مفترًى، وهم قد عمدوا الى سخلة ـــ فيما ذكر مجاهد والسدي وغيرهم ـــ فذبحوها ولطخوا ثوب يوسف بدمها، موهمين أنّ هذا قميصه الذي أكله الذئب فيه وقد أصابه من دمه، ولكنهم نسوا أنّ يخرقوه، فلهذا لم يرج هذا الصنيع على نبي الله يعقوب, بل قال لهم معرضاً عن كلامهم إلى ما وقع في نفسه تماثلهم (قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ) أي سأصبر صبراً جميلاً على هذا الامر الذي اتفقتم عليه، حتى يفرّج الله بعونه (وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) أي على ما تذكرون من الكذب والمحال، وقد سئل النبي (ﷺ) عن قوله (فصبر جميل) قال صبر لا شكوى فيه.[4]

ونجد الحوار في موضع آخر في سورة يوسفقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣ ﴾ (يوسف: ٦٣) بعد عودتهم الى أبيهم ومعهم الحنطة التي كالها لهم أخوهم يوسف واشترط عليهم جلب أخيهم في المرة اللاحقة كي يكيل لهم, قوله تعالى على لسان يوسف: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ٦٠ ﴾ (يوسف: ٦٠)

وقولهم لأبيهم ﴿ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ﴾، فقال لهم أبوهم في قوله تعالى ﴿ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف: ٦٤) ، وبعد أنْ وافق يعقوب أن يذهب بنيامين مع أخوته ولكن على مضض جلبًا للمصلحة، وقد شبه ائتمانه لابنه بنيامين بائتمانه إياهم في حق يوسف ولسان حاله يقول قلتم فيه كما قلتم في يوسف، فهو يخاف

---

1) ينظر: جامع البيان : 13/27-29.
2) ينظر: الكشاف: 3/260.
3) ينظر: الكشاف: 3/262.
4) تفسير القرآن العظيم : 8/20-21.

أن يكيدوا لبنيامين كما كادوا لأخيهم يوسف من قبل، ولكن يعقوب النبي سلّم امرة لله قائلا (فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ) (وحافظاً) اسم فاعل، فالله تعالى متصف بالحفظ وزيادته على كل حافظ (وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ) اعتراف بأنّ الله تعالى هو وحده ذو الرحمة الواسعة[1].

﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥ ﴾ (يوسف: ٦٥)

وتفسر قوله تعالى (قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ) اي ما نريد وقد ردت بضاعتنا (وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا) أي نأتي بالميرة لأهلنا (وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ) أي نزداد حمل بعير.[2]

يقول الله تعالى على لسان يعقوب ﴿ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴾ (يوسف: ٦٦) قال لهم أبوهم لن أرسله معكم حتى تعطوني ميثاقاً وعهداً، أن تأتونني ببنيامين او تهلكوا جميعاً، ولما أعطوه عهدهم، قال لهم ((ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ) فالله تعالى شهيدٌ عليهم بالوفاء بما قطعوا العهد.

وقوله تعالى على لسان عبده ونبيه يعقوب:﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ ﴾ (يوسف: ٦٧) قال يعقوب لبنيه لما أرادوا الخروج من عنده إلى مصر طلبا للحنطة (يا بني لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوها من ابواب متفرقة وذكر ذلك لهم لأنّهم كانوا رجالاً لهم جمال وهيبه، مخافة عليهم من العين إذ دخلوا جماعة من طريق واحد وهم ولد رجل واحد فأمرهم أنّ يتفرقوا في الدخول).[3]

ولما رجعوا الى أهلهم من دون أخيهم وأخبروه بما حصل معهم، قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (يوسف: ٨٣)

وبعد عودة الاخوة التسعة إلى أبيهم يعقوب (عليه السلام) تفقد اخاهم بنيامين فلم يجده بينهم، فكأنّ طائرٌ طار من قلبه أو كأنّ قطعة سقطت من كبده، وقد ورد في الاثر قوله لهم بصوته الحزين ما صنعتم بأخيكم وما فعلتم بإيمانكم ومواثيقكم، فقصوا عليه قصصهم وحدثوه أمرهم فتولى عنهم ((قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ), وقال لقد فقدت يوسف من قبل واليوم أَفْقُد بنيامين, وقال (فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ) وما كان لإخوة يوسف إلّا أن﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ (يوسف: ٨٥)

ومعنى قولهم لأبيهم: أنّك لا تزال تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تصبر بحيث لا تنتفع بنفسك أو تموت من الغم وأرادوا بذلك منعه من كثرة البكاء والأسف على يوسف، وقال بعض المفسرين ليس الإخوة مَنْ قالوا له ذلك بل هم الجماعة الذين كانوا في الدار من

---

1) ينظر: تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف بن حيان، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1413هـ = 1993م: 320/50
2) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 56/8
3) جامع البيان: 236/13

أولاده وخدمه فقال يعقوب عليه السلام ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (يوسف: ٨٦) والبث أشدُّ من الحزن كأنّه لا يطاق حمله فيبثه الإنسان أي يفرقه ويذيعه.[1] وجملة ﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أنّ يشكو إلى الله لا إلى نفسه ليجدد الحزن فصارت الشكوى بهذا ضراعة وهي عبادة لأنّ الدعاء عبادة[2].

وقَالَ تعَالَى:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (يوسف: ١٠٠)

وبعد أنّ أجْلس يوسف أبويه معه على سريره ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾ أي سجد له أبواه وأخوته الباقون وكانوا أحد عشر رجلاً، وقال لأبيه يا أبتِ هذا تأويل رؤياي التي قصصتها عليك من قبل في طفولتي قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي ربي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي وذكر لطف ربه بهم إنّه هو العليم الحكيم.[3]

وقَالَ تعَالَى:﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٣)

,بعد أنّ حضرتْ النبيَّ يعقوب مقدمات الموت وعلاماته جمع أبناءَه وسألهم ما تعبدون من بعدي؟ قالوا نعبد الهك واله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحداً ونحن له مسلمون، وفي جوابهم لأبيهم أطلقوا على سيّدنا اسماعيل (أب) وهو في الحقيقة عم سيّدنا يعقوب، لأنّ العرب لا تمتنع من أنّ تجعل الأعمام بمنزلة الآباء.[4]

المبحث الثاني : حوار الأنبياء مع إخوتهم

أولاً: حوار يوسف (عليه السلام) مع إخوته:-

قَالَ تعَالَى:﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ۝٥٩ ﴾ (يوسف: ٥٩)

أمر يوسف (عليه السلام) أنّ يُجهَّزَ إخوته ولكلٍ منهم حمل بعير، وأكرمهم واستضافهم في قصره وأعطاهم ما يحتاجون إليه في سفرهم إلى أهلهم، وقال لهم إتوني بأخ لكم من أبيكم، فيوسف لما عرفهم أراد أنْ يخبروه بجميع أمرهم فاستدرجهم يسألهم عن عددهم كإخوة، فقالوا نحن أبناء رجل صدّيق وقد جئنا لتكيل لنا الحنطة، وقد جاؤوا الإخوة العشرة ومعهم أحد عشر بعير، وقال لهم يوسف لِمَ تخلف أحدكم؟ قالوا لمحبة أبينا فيه قال فاتوني بهذا الأخ حتى أعلم حقيقة قولكم.[5]

وقوله تعالى ﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ وفيه تذكرة لهم بأنّه يوفي الكيل تماماً، وفيما يبدو أنّهم طلبوا منه زيادة في الكيل، بدعوى أنّ لهم أخاً تركوه مع أبيهم الشيخ العجوز، فطلب منهم يوسف أنّ يحضروا أخاهم كي يزيد لهم كيلاً إضافياً.[6]

---

1) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، أبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي، ط1، دار الكتب العلمية لبنان- بيروت سنة 1419هـ =1998م:191/11-192.
2) ينظر: التحرير والتنوير: 14/13.
3) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 74/8.
4) ينظر: التسهيل لتأويل التنزيل، أبي عبدالله مصطفى بن العدوى/ط1/سنة1416هـ = 1996م:333/2
5) ينظر: تفسير البحر المحيط: ابن حيان: 319/5
6) ينظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة: 7007/11.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴾ (يوسف: ٦١) قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ أي سنطلبه منه ونسأله أنْ يبعثه معنا (وإنّا لفاعلون) أي لضامنون المجيء به.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (يوسف: ٦٩)

ولمّا دخل الإخوة على يوسف (ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ) ضمّ إليه بنيامين، وروي أنّهم قالوا له: هذا أخونا قد جئناك به، فقال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي، فأنزلهم وأكرمهم وأجلس كل أخوين اثنين من أم وأب على مائدة، فبقى بنيامين وحده وبكى وقال بنيامين لو كان أخي يوسف حيّاً لأجلسني معه على مائدته، وقال لهم يوسف أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتاً وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه إليه ويسأله عن والده، قال له أتحب أنْ أكون أخاك بدلاً من أخيك الهالك؟ قال: من يجد أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب فبكى يوسف وقال له ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي فلا تحزن (بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) بنا في ما معنى وأنّ الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير، ولا تُعلِمْهمُ بما أعلمتك.[1]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ (يوسف: ٧٨ – ٧٩)

أخذ إخوة يوسف يستعطفونه بأبيهم الشيخ الكبير وتعلقه بأخيهم بنيامين، فقدموا أحدهم ليكون بدلاً عنه، ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي من العادلين المنصفين، قال يوسف ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ ولو فعلنا غير ذلك لكنّا من الظالمين.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ (يوسف: ٨٩) وهذا استفهام غير حقيقي يراد منه التذكير والتوبيخ ((إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ) قد يراد من الجهل صغر سنهم وعدم إدراكهم لجرم صنعهم.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٩٠)

ولما دخلوا على يوسف قالوا: (مسنا وأهلنا الضر) فخضعوا له وتواضعوا له، فرَقَّ لهم وعرفهم بنفسه وقال (هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ) فتنبهوا (قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ).

قال لهم يوسف: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (يوسف: ٩٣)

ثانيا: حوار موسى مع أخيه هارون:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢)

1) ينظر: الكشاف: 307/3.

قال سيّدنا موسى لأخيه هارون عند ذهابه الى الجبل لمناجاة ربه تبارك وتعالى، قال له (أخلفني) أي كن خليفتي في قومي بعد ذهابي وأصلح أمرهم، ولا تتبع سبيل المفسدين الضالين المضلين بموافقتهم على المعاصي.[1]

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٠)

ولما رجع سيّدنا موسى (عليه السلام) إلى قومه وجدهم يعبدون العجل الذي صنعوه بأيديهم، فغضب عليهم غضباً شديداً، ثم أخذ برأس أخيه هارون يجره اليه وقال له هارون مستعطفاً إياه (**ابن ام**) إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلم استطع منعهم، فلا تشمت بي الأعداء من بني اسرائيل ولا تجعلني مع القوم الظالمين.

قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ (طه: ٩٢ – ٩٤)

فيما سبق حوار موسى (عليه السلام) مع هارون لتركه القوم يعبدون العجل حين اضلهم السامري مستغلاً غياب نبي الله موسى حين ذهب مناجياً ربه.

وقوله يا ابن أم ترفقٌ له بذكر الأم مع أنّه شقيقه لأبويه، لأنّ ذكر الام هاهنا أرق وأبلغ، في الحنو والعطف[2]، فما كان من هارون إلّا أنّ تساقطت نفسه هماً وحسرةً فاقبل على أخيه يستلينه ويسترحمه ويهدئ حد نفسه وثورة غضبه، وقال لأخيه موسى : (إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلم استطع منعهم فلا تشمت بي الأعداء).

أشار الله تعالى في الآية الكريمة السابقة إلى ما اعتذر به هارون لأخيه موسى عما وجهه إليه من اللوم وبيَّنه في سورة طه (إنّي خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي)، وقد صرّح الله تعالى ببراءته بقوله: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ (طه: ٩٠)[3]

المبحث الثالث

مقاصد حوار الأنّبياء مع أهليهم

مدخل

لا شك أنّ الحوار القرآني يمثل الموضوعات القرآنية الاخرى من حيث مقاصدها، فالحوار القرآني لم يجء عرضاً في السياق القرآني، ولم يكن وجوده للزينة والجمال فحسب، إذ من خلاله نستقي دروساً تربوية جمّة، وقد لفت القرآن الكريم أنظارنا من خلال حوار الأنبياء مع أهليهم إلى تصحيح حقائق كبيرة تخبطت فيها البشرية حقباً طويلاً من الزمن، كالشرك بالله (عزّ وجلّ)، والاعتصام والالتجاء بأصنام من حجارة لا تنفع، أو تخبط البشرية بعادات جاهلية ما فتئت تجر البشرية الى وحشية وهمجية فكانوا كالأنعام أو أضل سبيلا.

---

1) ينظر: تفسير الجلالين، الامام جلال الدين السيوطي والامام جلال الدين المحلي، حققه وعلق عليه وخرجّ احاديثه وذكر اسباب نزوله ووضع فوائد متممة له الاستاذ الدكتور مصطفى ديب البقا استاذ التفسير وعلوم القرآن – كلية التربية – جامعة دمشق، دار المصطفى للطباعة والنشر والتوزيع: 213.

2) ينظر: تفسير القرآن العظيم:362/9.

3) وينظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المأثور للنشر بالمدينة المنورة، ط1، سنة 1420هـ = 1999م: 351/2.

ومقاصد حوار الأنبياء (عليهم السلام) مع أهليهم في القرآن الكريم متعددة، يطول بنا المقام إنْ تتبعناها كلها، فهم الذين قال عنهم الله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ (الأنعام: ٩٠) فكل فضيلة وكل قيمة عليا في هذه الحياة للأنبياء (عليهم السلام) يدٌ فيها، غير أننا سنقتصر على أهم هذه المقاصد، إذ يطول بنا المقام لو تتبعناها كلها.

والمتتبع لكتاب الله يجد أنّ الحوار قد أخذ مساحة واسعة في القرآن الكريم وكان له دورٌ كبيرٌ في تأدية المعاني القرآنية ولكننا سنقتصر على أربعة محاور ألا وهي:

أولاً: الدعوة إلى الله تعالى

ومن ذلك ما يقصه علينا القرآن الكريم من أمر إبراهيم (عليه السلام) في حواره مع أبيه ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ (الأنعام: ٧٤ – ٧٩)، ، فسيّدنا إبراهيم لا يكتفي بجواره هذا مع أبيه فحسب بل يتعدى هذا الى حوار قومة جميعاً، فهو يلفت انتباه قومه إلى هذه الإجرام التي لا تنفع ولا تضر، (أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ).

فإبراهيم عليه السلام لم يواجه قومه بضلالتهم حتى أقام عليهم الحجة، ومن جهة أخرى لم يقل لهم أنتم ضالون وإنما قال(لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ)، فوجه الكلام للغائبين علماً أنّه يخاطب شهوداً.

فراح نبي الله إبراهيم يجيل ببصره وأبصارهم، فما إنْ تستقر أبصارهم على جرم من أجرام السماء (الكوكب، القمر، الشمس) حتى يأفل ويغيب، وحين يقول (لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ)، أي (لا أحب عبادة الأفلين المتغيرين من حال الى حال، المتنقلين من مقام الى مكان.. وإنما أصبح بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال، لأنّ الاحتجاج بالافول أظهر، لأنّه انتقال مع خفاء واحتجاب، وجاء بلفظة (الآفلين) ليدل على أنّ ثم آفلين كثيرين ساواهم هذا الكوكب في الأفول فلا مزية له عليهم في أنْ يعبد للاشتراك في الصفة الدالة على الحدوث.[1]

وكان آخر ما وقعت عليه أبصارهم هي الشمس ((ولما أفلت لم يبقَ لهم شيء يمثل لهم به، وظهرت محجته، وقوى بذلك على منابذتهم وتبرأ من إشراكهم)).[2]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ (الزخرف: ٢٦ – ٢٨) إذا جعل سيّدنا إبراهيم (عليه السلام) كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله (إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ) في ذريته وأبنائه من بعده، فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيده، ولعل من أشرك منهم يرجع إلى توحيد الله بدعاء واحد منهم.[3]

---

1) تفسير البحر المحيط: 172/4.
2) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
3) ينظر: الكشاف: 988.

والقرآن الكريم حينما يذكر القصص غالباً ما يورد المرتكزات الاساسية للقصة، تاركا للذهن التأمل ليتم القصص، فهو لا يقف عند كل جزئية، إذ لم يكن فيها فائدة، وإنما يورد جانباً من الصورة، وجزءاً من الحوار فيترك للذهن تقصي الجزئيات، فمثلا يقول الله تعالى تعالى﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ (طه: ١٣٢) فالنبي (ﷺ) لابد أنْ يمتثل لأمر الله تعالى، ولا بد أنّه حاورهم ودعاهم إلى الصلاة والعبادة والاصطبار عليها، غير أنّ القرآن الكريم، أورد الامر فحسب، أمَّا تنفيذ الامر فتركه دون أنْ يفصّله لوضوحه في ذهن السامع من أنّ الرسول (ﷺ) امتثل لأمر ربه.

وفي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴾ (الأحزاب: ٢٨) ففيه أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله (ﷺ) بأنْ يخيّر نساءه بين أنْ يفارقهن ويذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال لهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل، فاخترنا رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك خير الدنيا وسعادة الآخرة.[1]

كذلك نرى صورة أخرى من صور حوار الأنبياء مع أهليهم في القرآن الكريم والمقصد منه التمسك بعبادة الله عز وجل والثبات عليه, في قوله: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣ ﴾ (البقرة: ١٣٢ – ١٣٣)

فالتعبير القرآني في هذه الآية الكريمة يُظهر لنا صورة نبيين كريمين اثنين وهم يثبّتون أبناءهم على طريق الهدى والإيمان، فهي الوصية التي يلقيها إبراهيم (عليه السلام) على بنيه ويشد من أزرهم كي لا يعدلوا عنها حتى الموت.

أمَّا يعقوب (عليه السلام) فيُظهر لنا القرآن الكريم صورته الشريفة وهو في رمقه الأخير، فهي لحظات ما قبل الموت، وهذا بحد ذاته يجعل للحوار قيمة إضافية، ويسعى في حواره ليطمئن قبل مماته على عبادة أبنائه من بعده، فجاء حواره معهم على شكل استفهام: (مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ) فلما ((دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيران، فجمع بينه، فخاف عليهم ذلك وقال لهم (مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ) فأنزل الله هذه الآية إعلاماً لنبيه بما وصى به يعقوب)).[2]

فسيّدنا يعقوب في لحظات وفاته لم تشغله الدنيا، ولم يشغله أمر من أمورها وإنما يشغله عبادة أبنائه من بعده.

ثانياً: كشف العوالم النفسية للشخصيات القرآنية

يعد الحوار ركناً اساسياً في إبراز العالم الداخلي للشخصية القرآنية، فهو لا يكتفي بتصوير العالم الخارجي للشخصية وإنما ينفذ الى داخلها فيكشف مضمونها وما في داخلها من انفعالات والحوار بوصفة عنصراً مهماً من عناصر بناء القصة القرآنية له دور كبير في التأثير على النفس الإنسانية وإثارة المشاعر والأحاسيس وفي سورة يوسف يُجلي لنا القرآن الكريم مشاعر الود والرحمة والإخوة من خلال حوار قصير دار بين سيّدنا يوسف (عليه السلام) وأخيه بنيامين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩ ﴾ (يوسف: ٦٩)

1) تفسير القرآن الكريم: 188/6.
2) تفسير البحر المحيط: 1/ 572.

ورِوي أنّهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به، فقال لقد أحسنتم وأصبتم، وستجدون ذلك عندي، فأنزلهم وأكرمهم، ثم ضيّفهم وأجلسهم كل اثنين على مائدة، فبقي بنيامين وحده فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حيّاً لأجلسني معه، فقال يوسف بقي اخوكم وحيداً، فأجلسه معه على مائدته، فجعل يؤاكلهم وقال: أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتاً، وهذا لا ثاني معه فيكون معي، فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته، حتى أصبح وسأله عن ولده، فقال: لي عشرة بنين اشتققتُ أسماءهم من أخٍ لي قد هلك، فقال له أتحب أنْ أكون أخاك بدل أخيك الهالك، قال من يجد أخا مثلك، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف فقام إليه وقال (أنّا اخوك فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى، فإنَّ الله أحسن إلينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك. (1)

فهذه جمل قصيرة ألقاها يوسف (عليه السلام) في روع أخيه الذي أخذ منه الشوق ليوسف (عليه السلام) كَلَّ مأخذ، فكانت هذه الجمل والكلمات، وهذا الحوار القصير إزاحة لكل حزن عاناه هذا الأخ (فلا تبتئس) وخصوصا إذا ما علمنا أنّ بنيامين رأى أخاه يوسف (عليه السلام) في هذه الصورة البهية من المُلك, فقد شرَّفه الله عز وجل واكرم نزله.

ويبدو أنّ الامر مماثل مع يوسف (عليه السلام) ولكن هذه المرة مع أبويه وليس مع أخيه فبعد الفراق الطويل الذي ذهب بعيني النبي يعقوب (عليه السلام) حتى ابيضت من الحزن فهو كظيم لأحزانه التي يبثها لله (عز وجل) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٩) فما إنْ دخل الأبوان على يوسف (عليه السلام) حتى أواهما وضمهما، هذا الإيواء له وقعه في داخل النفوس التي أمضها الشوق، لأنّه بعد أعوام مديدة من تجرع ألم الفراق.

وفي موضوع آخر يكشف لنا حوار الأنبياء مع أهليهم عن جوانب نفسية وأحزان تعتلج في النفوس، وهو الحوار بين الصديقة مريم (عليها السلام) ووليدها الذي توًّا فتح عينه للحياة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ (مريم: ٢٣ ـ ٢٦)

قيل الذي ناداها هو سيّدنا عيسى (عليه السلام) (2) قال مجاهد ((فنداها من تحتها)) قال عيسى بن مريم وكذا قال عبد الرزاق بن معمر عن قتادة قال: قال الحسن هو ابنها وهي إحدى الروايتين عن سعيد بن جبير أنّه ابنها وهو أوَ لَمْ تسمع الله يقول: (فأشارت اليه)(3) والتفتَ الزمخشري التفاتة رائعة إذ يقول: (فإنْ قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تتسلى بالسريّ والرطب؟ قلت: لم تقع التسلية بهما من حيث إنّهما طعام وشراب، ولكن من حيث إنّهما معجزتان تريان الناس أنّها من أهل العصمة والبعد عن الريبة. (4)

فإذا كان الذي نادى مريم هو عيسى (عليه السلام) وليس جبريل (عليه السلام) فإنَّ هذا الحوار معها يعد أطول حوارات الأنبياء مع أهليهم، وكلامه معها في هذه اللحظة له وقعه داخل نفسها المكلومة، التي كانت تؤثر الموت حينما الجأها المخاض إلى جذع النخلة.

فارتسمت أمام عيني مريم صورة رائعة من الطبيعة، نهر صغير يجري مأوه دافقًا ونخلة تساقط عليها رطبًا حلوًا جنياً ووليد في لحظاته الاولى يكلمها بمنطق يفوق منطق البلغاء يصبّرها (لا تحزني) (وقري عينا) بل أنّه يلقنها بما تقول وتفعل إذا واجهت قومها، فإنّه هو الذي سيتولى مهمة الدفاع عنها، أمَّا هي فليس عليها إلّا أنْ تمتنع عن الكلام لتسمع وليدها الذي في المهد، كيف يلقي خطبة عصماء أمام قومه، بل إنّه منذ مهده يفصح لهم بحقيقة نبوته وحقيقته برّه بأمه، وباستقامته على الصلاة والزكاة طيلة حياته.

فحوار عيسى مع أمه يُذْهب عن قلبها كل الحزن الذي خيَّم عليها ساعة المخاض بل يزيدها رفعة وشموخاً وهي تواجه قومها بمولودها النبي.

خاتمة البحث:

---

1) تفسير البحر المحيط: 325/5
2) ينظر: الكشاف / 634
3) تفسير القرآن العظيم: 132/5.
4) الكشاف/ 635.

توصل البحث إلى عدد من النتائج أهمها:

١- جاء الحوار بين الأنبياء وأهليهم على درجة عالية من الرقي والبلاغة والحكمة فلا مجال فيه للتقريرية والإطناب، فجاءت كلُّ كلمة مقصودة لذاتها.

٢- يتجلى في الحوار، الهديّ الربّاني والحكمة البليغة التي حباها الله تبارك وتعالى لأنبيائه، وكيف لا وهم صفوة الخلق.

٣- أدب الحوار الذي يتمتع به الأنبياء في دعوتهم إلى الله، فلا وجود للجدال العقيم ،بل هي الرحمة والشفقة لإنقاذ العباد من الشرك والضلال إلى الإيمان بالله وتوحيده.

٤- جاءت الحوارات مكثّفة باذخة المعنى قليلة الكلمات تخاطب العقول والأفئدة وتستلينها إلى الطريق القويم.

٥- كانت الحوارات القرآنية الأداة الإلهية الرائعة لسرد أخبار الأمم السابقة، وما فيها من عبر وعظات وكل ذلك يساق من أجل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

Reference :

1- albina' alfaniyu liriwayat alharb fi alearaqi:dirasatulnazam alsard walbanaa' fi alriwayat aleiraqiatialmueasirati,eabdallah 'iibrahim ,dar alshuwuwn althaqafiat aleamati,baghdad,ta,1988.
2- altashil litawil altanzili,li'abi eabdallah mustafaa bin aleadawi ,ta1,sanat1416h=1996mu,maktabat makata,misr.
3- aljamie li'ahkam alqurani:matadamanuh min alsanat way alfran ,li'abi eabdallah muhamad bin 'ahmad 'abi bakr alqurtubi ,tahqiq :alduktur eabdallah bin eabdalmuhsin alturki, washarak fi tahqiq hadha aljuz' :muhamad 'anis mustafaa alhasan wamuhamad muetaz karim aldiyn ,muasasat alrisalat liltabe walnashr ,libnan/birut, ta1, 1427h=2006m
4- alhiwar fi alqurani:Muhammad Hussein Fadlallah qawaeiduh-'asalibha-muetayaatih , dar almalak liltibaeatiwalnashr waltawzie , lubnan , 1417 h = 1996 m
5- almasbur almasbur min altafsir bialmathur , 'a.d.hakamat bn bashir bin yasin , dar almathur lilnashr bialmadinat almunawarat , t 1 , sanat 1420 h = 1999 m.
6- alkatib waealamuh , tarjamatu: di.shukri muhamad eyad , silsilat al'alif kitab (500) , alqahirat , (du.ta) , 1964.
7- alkashaf ean haqayiq waghawamid tatwir waeuyub al'aqawil fi wujue altaawil , jarallah 'abi alqasim mahmud bin eumar alzumakhshiri , t 1 , maktabat aleabikan , alriyad , sanat 1418 h = 1998 m.
8- allibab fi eulum alkitab , 'abi hafs eumar bin ealii bn eadil alhanbalii , t 1 , dar alkutub aleilmiat , lubnan / bayrut sanat 1419 h = 1998 ma.
9- almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziz , lilqadi muhamad bin eabdalhaqi bin ghalib bin eatia aalandilusiu , t 1 , dar alkutub aleilmiat , bayrut- lubnan , sanat 1422 hi = 2001 mu.
10- almustalah fi aaldubi algharbii , du. nasir alhani , manshurat dar almaktabat aleasriat , sayda . bayrut ,)
11- du.t (1986.wr eabdalnuwr , dar aleilm lilmaliayn , bayrut , talmuejam aaldubayi , da. jib 1 , 1979.
12- tafsir albahr almuhit , muhamad bin yusif bn hayaan , t 1 , dar almaktab aleilmiat , bayrut , sana 1413hi = 1993 mi.
13- .tafsir altahrir waltanwir lilshaykh muhamad tahir bin eashur , aldaar altuwnusiat lilnashr , tunis , 1984.

14- altafsir althaealibii , almusamaa: aljawahir alhasaan fi tafsir alquran , li'almam eabdalrahman bin muhamad bin makhluf abi zayd althaealib , dar ahya' alturath alearabii , bayrut / lubnan , t 1 , sanat 1418 hu 1997m.
15- tafsir aljaliliyn , li'almam jalil aldiyn alsuyutii waalmam jalil aldiyn almahaliyi , haqaqah waealaq ealayhi. wakharaj ahadithah wadhakr aisbabah wamadhah wama lah fayidat lah lah wamaadh mustafaa dib albugha aistadh altafsir waeulum alquran , kuliyat altarbiat , jamieat dimashq , dar almustafaa liltibaeat walnashr waltawziei.
16- .tafsir alshae arui , muhamad mutualiy alshae arui , dar akhbar alyawm qitae althaqafati.
17- .altafsir altabarii , jamie albayan ean tawil ay alquran , 'albi jaefar muhamad bin jarir altabri) 224 hi 310 -ha (, tahqiq alduktur eabdihalala bin eabdalmuhsin almashrue mae markaz albuhuth waldirasat almahaliyati alearabiat jimilsalimiat bidar hijr , alduktur eabd alsand hasan yamamat , hajr liltibaeat waltawziei waalealan , 1422 hi = 2001 mi.
18- tafsir alquran aleazim , alfida' asmaeil bn ashaq abn kathir , t 1 , dar alkutub almisriati.
19- .tafsir almaraghi , aahmad mustafaa almaraghi , maktabat mustafaa albabi wawaliduh , misr , t 1 , sanatun 1365 hi = 1946 m , j 23.
20- .tafsir fajr al arzi , almushtahir bialtafsir alkabir wamafatih alghayb lialmam muhamad al arzi fakhr aldiyn aibni alealimat dia' aldiyn eumar alshahir bikhatib alrayi nafe halala bih almuslimina) 544-604h (dar alfikri alnashr waltawzie , bayrut liltibi / lubnanu.
21- tan) adabia (fi alqisat alquraniat , du. sulayman altuwnat , ta d arisat nisiy 1 , 1992.
22- qisas alquran , muhamad jad almawlaa eali muhamad albijawi , t 1 , dar ahya' alturath alearabii ,bayrut / lubnan , sanat 1422 hi = 2002 mi.
23- .ktab aleayn , abu eabdalrahman khalil bin ahmad alfarahidi) 100-175h (tahqiqi: du. Mahdi almakhzumiu , w du. 'iibrahim alsaamaraayiyu , dar alrashid lilnashr , baghdad ,) du.t (, 1406 hi = 1981 mi.
24- lisan alearab , abw alfadl jamal aldiyn bin makram bin manzur (t 711 ha) , dar sadir wadar bayrutbaeat walnashr / bayrut , t 3 , 1415 hi = 1994.
25- lughat alhiwar fi alquran alkarim , dirasat wazifiat aslubiat , dirasat dukturah , bi'ashrafi: 'a.da. mahmud dawuud alsumrat , muqadimat alia kuliat aldirasat aleulya / aljamieat aialardaniat , 2001.
26- mukhtar alsihah , muhamad bin abi bakr bin eabdalqadir al arzi) t 666 ha (dar alrisalat , alkuayt , du.t (1402 hi = 1982 mi. a wamashruhat , wabayanu.
27- miejam aalilfaz waalealam alquraniati: jamie alfaz alquran alkarim muratabat hajayiyaa at eadad mara wurud kuli lafz wamawadie nususih fi alsuwar waaliat mae taerif biaailaealam altaarikhiati waljughrafiat talif / muhamad asmaeil abarahim , multazim altabe walnashr dar alfikr alearabii , t 2 , j 1, 1418 hi = 1998 mi.
28- muejam maqayis allughat , 'albi alhusayn ahmad bin faris bin zakariaa almutawafaa sanat 395 hu , aetanaa bihi alduktur muhamad eawad mureib , aalnisat fatimat muhamad asalan , dar ahya' alturath alearab , bayrut, lubnan , t 1 , 1422 hi = 2001 m.